



وحملها الإنسان

التوبة

خطبة جمعة

2026-06-05

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفزع كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هُداك، وكيف نذل في عزك، وكيف نُضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنّا خير ما جزي نبياً عن أمته. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

مقدمة:

وبعد أيها الإخوة الكرام: يُحكى أنّ رجلاً جمع أولاده، وأوكل إليهم مهمة وحملهم أمانتها، ومنحهم الاختيار في قبول حملها أو رفضها، هذه المهمة، فمن أراد أن يؤذيها فليقل لها، ومن رفض فله ذلك، اعتذر أكثرهم عن حملها، لمعرفةهم بئقلها ولعجزهم عن أدائها، إلا ولدَيْن من المجموع، قال كل منهما: أنا لها يا أبي، أنا أحمل الأمانة. فأما الأول: فسعى وجهد وأدى الأمانة على أحسن وجه، فاستحق رضا والده، واستحق إكرامه العظيم. وأما الثاني: فحملها قبولاً، قال: أنا لها قبلت، ثم لم يتحملها أداءً، ما أداها حق أدائها، ولا قام بالمهمة كما أمر والده، ولم يُقم بواجبها حق القيام، فاستحق غضب والده وعقوبته. والآن ولله المثل الأعلى، لنقرأ قوله تعالى:

أربعة أسئلة تخطر في بال من يقرأ الآية التالية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (72)
(سورة الأحزاب)

ولتُجِبْ معاً على أربعة أسئلة، تخطُرُ في بال الكثيرين عندما يقرؤون هذه الآية:

السؤال الأول: ما الأمانة التي أشققت من حملها السماوات والأرض ثم حملها الإنسان؟

السؤال الثاني: من المعنى بقوله تعالى: (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ)؟

السؤال الثالث: هل كان الإنسان ظلوماً جهولاً لأنه حمل الأمانة؟

والسؤال الرابع: ما دُمْتُ لا أذكر أنني حملت هذه الأمانة، فلماذا إن خالفت ولم أودَّ حقها أنحمّل إنتمها أمام الله؟ وأنا لا أذكر أصلاً أنني حملتها، هذه أسئلة أربعة يجبُّ الإجابة عليها.

السؤال الأول: ما الأمانة التي حملها الإنسان؟

أما السؤال الأول: ما الأمانة التي حملها الإنسان؟ الأمانة هي الأوامر والنواهي، هي التكاليف الشرعية، هي افعَل ولا تفعل، لا يُكَلِّفُ بافعل ولا تفعل إلا من حمل الأمانة، لا يُخاطب الله السماوات ولا الأرض ولا الجبال ولا الملائكة بالتكاليف الشرعية، يُخاطب المخلوقات المُكلَّفة، يُخاطب الإنسان، والجن طبعاً، فالأمانة هي التكاليف الشرعية كما قال ابن عباس رضي الله عنه، هي الفرائض التي فرضها الله، والنواهي التي نهى الله عنها، بمعنى أن الله عز وجل ملكك القُدرة أيتها الإنسان، على الترك أو الفعل، أي الاختيار، فأنت تُدير نفسك، أنت تقول: أريد أن أصدق، وأنت تريد تقول: أريد ألا أصدق، لك الخيار، أما الملائكة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فُؤَادِكُمْ وَآهْلِيكُمُ تُرَا وَفُؤَادَهَا النَّاسِ وَالْجِبَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (6)

(سورة التحريم)

أما أنت أيتها الإنسان فأمامك الخيار، تفعل أو لا تفعل، تؤمن أو لا تؤمن، تصدق أو لا تصدق، تغضُّ البصر عن الحرام أو تُطلق البصر في الحرام، هذه هي الأمانة، أنك تستطيع أن تُدير نفسك بنفسك، أن تفعل أو لا تفعل، هذه هي الأمانة.

السؤال الثاني: من المعنى بقوله تعالى: (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ)؟

أما السؤال الثاني: من المعنى بقوله تعالى: (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ)؟ قال الحسن وغيره: الإنسان هنا يعني الكافر والمنافق، يقصد الله تعالى بالإنسان هنا الكافر والمنافق، وقال آخرون: بل جميع الناس (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ) كل الناس حملوها، والمعنى الثاني هو الأظهر لأن الله تعالى قال: (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ) فكلنا حملنا الأمانة.

كيف يُستخدَم مُصطلح "الإنسان" في القرآن الكريم؟

أيتها الكرام: قيل أن أتابع، حتى نفهم (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ) القرآن الكريم عندما يستخدم هذا المُصطلح: "الإنسان"، كيف يستخدمه في القرآن؟ لأن القرآن له طريقته خاصة في استخدام المُصطلحات، يجب أن نفهمها إذا أردنا أن نفهم الآيات، اقرأ القرآن من الفاتحة إلى الناس، إذا تحدت الله تعالى عن الإنسان، فإنه يتحدث عن الإنسان قبل أن يؤمن، يتحدث عن الإنسان مُجَرِّداً من الإيمان، أما إذا أراد أن يمدح، فيمدح الذين آمنوا، يمدح الربانيين، لكن الإنسان لا يمدحه الله في القرآن، واقرأوا القرآن كله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22)

(سورة المعارج)

المُصلُّون غير الإنسان، شيء آخر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ (2)

(سورة العنبر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (6)

(سورة العاديات)

عَبْرٌ وَفِيَّ مَعِ رَبِّي، (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) فِي هَذِهِ آيَةِ، فَالْقُرْآنُ لَا يَمْدَحُ الْإِنْسَانَ بِهَذَا اللَّفْظِ، يَمْدَحُ الْمُؤْمِنَ، عِنْدَمَا يَنْتَقِلُ مِنْ هَذِهِ الْمَرَحَلَةِ، مَرَحَلَةَ الْإِنْسَانِ الْمُجَرَّدِ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَى مَرَحَلَةِ الْإِيمَانِ، يَمْدَحُهُ جَلَّ جَلَالُهُ فَيَقُولُ مِثْلًا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (107)

(سورة الكهف)

فَقَالَ بَعْضُهُمْ كَمَا قُلْنَا: (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ) أَيُّ إِنْسَانٍ.

السؤال الثالث: هل كان الإنسان ظلومًا جهولًا عندما حمل الأمانة؟

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ: السُّؤَالُ الثَّلَاثُ وَهَذَا هُوَ الْأَهْمُ، هَلْ كَانَ الْإِنْسَانُ ظَلُومًا جَهُولًا عِنْدَمَا حَمَلَ الْأَمَانَةَ؟ لِأَنَّ هَذِهِ آيَةُ تُحِبُّرُ الْكَثِيرِينَ: (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) حَمَلَ الْأَمَانَةَ فَطَلَّمَ وَجْهًا، كَيْفَ ذَلِكَ؟! عَلَى قَوْلِ الْحَسَنِ: إِنَّهُ الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ) [إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا] الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ (كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) عَوَدُوا إِلَى الْمِثَالِ الْأَوَّلِ الَّذِي بَدَأَ بِهِ، هَذَا الَّذِي قَالَ لِلَّهِ: أَنَا لَهَا يَا أَبِي، ثُمَّ لَمْ يَحْمِلِ الْأَمَانَةَ، كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا طَبَعًا، لَكِنْ عَلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ: (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ) أَيُّ كُلِّ إِنْسَانٍ، كَلْنَا، هَلْ كَلْنَا كُنَّا ظَلُومِينَ جَهُولِينَ عِنْدَمَا حَمَلْنَا هَذِهِ الْأَمَانَةَ الْعَظِيمَةَ؟ هَلِ الْمُؤْمِنُ الَّذِي اسْتَحَقَّ جَنَّةَ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِيهَا:

{ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: افْرَوْوَا

إِنْ يَشِئْتُمْ: { فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ } [السجدة: 17] قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنِ أَبِي صَالِحٍ: قَرَأَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قُرَّتْ أَعْيُنِي

{

(أخرجه البخاري ومسلم)

اسْتَحَقَّهَا لِأَنَّهُ قَبِلَ الْأَمَانَةَ، هَلْ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا؟ لَا وَاللَّهِ لَمْ يَكُنْ ظَلُومًا وَلَا جَهُولًا اسْتَحَقَّ الْجَنَّةَ.

معنى الآية: (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ)؟

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ: هَلِ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، الَّذِي أَسَجَدَ اللَّهُ لَهُ مَلَائِكَتُهُ، أَسَجَدَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، هَلْ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا؟ وَاللَّهُ يُسَجِّدُ لَهُ مَلَائِكَتُهُ؟ لَا وَاللَّهِ، يَجِبُ أَنْ نَفْهَمَ شَيْئًا بَسِيطًا فِي آيَةِ، وَمِنْ خِلَالِهِ نَفْهَمُ السِّيَاقَ كُلَّهُ، هَذِهِ الْجُمْلَةُ يَقْرَأُهَا الْكَثِيرُونَ عَلَى أَنَّهَا جُمْلَةٌ تَعْلِيلِيَّةٌ وَهِيَ لَيْسَتْ كَذَلِكَ، بِمَعْنَى (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ) هُوَ فِي ذَهْنِهِ يَقُولُ: لِأَنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا وَهِيَ لَيْسَتْ كَذَلِكَ، هَذِهِ الْجُمْلَةُ جُمْلَةٌ اعْتِرَاضِيَّةٌ (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ) [إِنَّهُ] أَيُّ هَذَا الْإِنْسَانِ الَّذِي لَمْ يُوَفِّ بِحَمْلِ الْأَمَانَةِ، وَلَمْ يُوَدِّ حَقَّهَا، كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا، أَيْنَ التَّعْلِيلُ؟ تَابَعُوا السُّورَةَ فِي آيَةِ الْآخِرَةِ مِنَ الْأَحْزَابِ، قَالَ تَعَالَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ □ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا (73)

(سورة الأحزاب)

(لِيُعَذِّبَ) هَذَا هُوَ التَّعْلِيلُ، هَذِهِ لَمْ تَعْلِيلُ (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ) لِيَكُونَ بَعْدَ ذَلِكَ: مُنَافِقٌ وَمُشْرِكٌ وَمُؤْمِنٌ، فَالْمُؤْمِنُ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَالْكَافِرُ وَالْمُشْرِكُ وَالْمُنَافِقُ، مُعَذَّبٌ ظَلُومٌ جَهُولٌ، فَإِذَا قَرَأْنَا الْآيَةَ مَعًا اتَّضَحَ الْمَعْنَى، أُعِيدَ قِرَاءَتُهُمَا: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَعْنَ بِهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ) الْآنَ جُمْلَةٌ اعْتِرَاضِيَّةٌ، تَتَحَدَّثُ عَنِ الْإِنْسَانِ الَّذِي لَمْ يُوَدِّ حَقَّ الْأَمَانَةِ (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) تُنَاجِ: (لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ □ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا).

(وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ) من أجل أن يكون الناس على أصنافٍ ثلاثة: كافرٌ يستحق النار، ومُنافِقٌ يستحق الدرك الأسفل من النار، ومؤمنٌ يتوب الله عليه، ويرفع درجته، ويُعطيه جنةً عرضها السماوات والأرض.

السؤال الرابع: هل أتحمّل إنتم شيءٍ لا أذكره؟

أيها الإخوة الكرام: بقي السؤال الرابع: هل أتحمّل إنتم شيءٍ لا أذكره؟ متى حصل ذلك؟ متى أشهدنا الله على أنفسنا؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن طُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۖ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا
عَن هَذَا غَافِلِينَ (172)

(سورة الأعراف)

أنا لا أذكر ذلك.

معنى الآية: (طُلُومًا جَهُولًا)؟

أيها الإخوة الكرام: قيل أن أُجيب على هذا السؤال، ما معنى: (طُلُومًا جَهُولًا) طُلُومًا تعني أنه عرف الأمر وخالفه فظلم نفسه، أي هو يعلم أنه يجب أن يصدق لكنه كذب، فهو طُلُومٌ شديد الظلم لنفسه، لأنه يعلم الحقيقة وخالفها، أمّا جهولًا ففَرَطٌ وقَصْرٌ فلم يتعلم، ففي الحالتين استحقَّ غضب الله، طُلُومٌ بمعنى أنه يعرف الحُكم الشرعي لكنه يفعل خلافه، كما يفعل بعض المسلمين اليوم، يعلم أنّ الكذب حرام ولكنه يكذب (إِنَّهُ كَانَ طُلُومًا) الجهول لم يتعلم، لم يتعلم الحُكم أصلاً (إِنَّهُ كَانَ طُلُومًا جَهُولًا).
السؤال الرابع أيها الكرام: لماذا أتحمّل الإنم وأنا لا أذكر؟ اسمعوا إلى هذا الحديث الذي جاء في مُسند الإمام أحمد بسندٍ صحيح:

{ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن طُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ
أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۖ شَهِدْنَا) قَالَ: جَمَعَهُمْ لهُ يَوْمَئِذٍ جَمِيعًا مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَجَعَلَهُمْ أَرْوَاحًا،
ثُمَّ صَوَّرَهُمْ، وَاسْتَنْطَقَهُمْ، فَتَكَلَّمُوا، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ، أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى
شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ، وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ،
افْتَهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْتَلُونَ؟ قَالَ: فَإِنِّي أُشْهِدُ عَلَيْكُمُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، وَأُشْهِدُ عَلَيْكُمُ آبَاكُمْ آدَمَ أَنْ
تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ نَعْلَمْ، أَوْ تَقُولُوا إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، فَلَا تُشْرِكُوا بِي شَيْئًا، فَإِنِّي أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ رُسُلِي، يُذَكِّرُوكُم عَهْدِي وَمِيثَاقِي،
وَأُنزِلُ عَلَيْكُمْ كُتُبِي، فَقَالُوا: تَشْهَدُ أَنَّكَ رَبُّنَا وَإِلَهُنَا لَا رَبَّ لَنَا غَيْرُكَ }

(أخرجه أحمد)

شَهِدَ عَلَيْنَا أَبُونَا آدَمَ، حَتَّى لَا تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَمْ نَعْلَمْ، أَشْهَدُ عَلَيْنَا أَبَانَا آدَمَ أَنَا قُلْنَا لَرَبِّنَا: بَلَى أَنْتَ رَبُّنَا يَا رَبِّ، (فَلَا تُشْرِكُوا بِي شَيْئًا، فَإِنِّي أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ رُسُلِي،
يُذَكِّرُوكُم عَهْدِي وَمِيثَاقِي، وَأُنزِلُ عَلَيْكُمْ كُتُبِي، فَقَالُوا: تَشْهَدُ أَنَّكَ رَبُّنَا وَإِلَهُنَا لَا رَبَّ لَنَا غَيْرُكَ).

هذه قصة هل تذكرونها؟ أنا لا أذكرها، وهل كل شيءٍ لا نذكره يعني أنه لم يقع؟ ألا تروى لك والدتك أو والدك شيئاً حصل معك في صغرك وقد نسيت، فهل معنى ذلك أنه لم يقع؟
لقد وقع ولكنك نسيت، ثم قيل أن تُصبح في عالم الصور الذي نحن فيه الآن، هل كُنَّا نملك الدماغ والذاكرة لنحفظ ما حصل معنا؟ لم تكن نملك، لذلك لم تُخزن هذه المعلومة،
لكنها وقعت، وشهدت علينا السماوات والأرض، وشهدت علينا أبونا آدم أنه قال جل جلاله: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ) فيجب أن نحمل الأمانة، قد حملناها، نحن من قُلْنَا نحن لها
يا رب، فيجب أن نحملها حق حملها، وأن نُؤدبها حق أدائها.

لقد حملنا الأمانة ويجب أن نُؤدبها:

أيها الإخوة الكرام: لقد حملنا الأمانة ويجب أن نُؤدبها، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
سَمِيعًا بَصِيرًا (58)

وأمرنا ألا نخونها، فقال جل من قائل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (27)

(سور الأنفال)

وجاء الصّعيان معاً، الأمر بأدائها والنهي عن ضدها، فقال صلى الله عليه وسلم:

{ أَدْ الْأَمَانَةَ إِلَى مِنْ ائْتَمَكَ، وَلَا تَخُنْ مِنْ خَاتِكَ }

(أخرجه أبو داود والترمذي)

{ ما خطبنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَالَ: لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ }

(أخرجه أحمد والبخاري وأبو يعلى)

التوحيد أمانة والشرك خيانة للأمانة:

أيها الكرام: التوحيد أمانة والشرك خيانة للأمانة، أن تُشرك بالله شيئاً وهو خلقك، هذه أعظم خيانة لأمانة التوحيد، النفس التي بين جنبيك أمانة، وأداء هذه الأمانة أن تزكي النفس، وخيانة هذه الأمانة أن تدسّها بالشرور والآثام.

الجوارح أمانة وأداؤها يعني انضباطها بما شرع الله:

أيها الإخوة الكرام: الجوارح أمانة وأداؤها يعني انضباطها بما شرع الله، وخيانة أمانة الجوارح تعني أن تتركها لتفعل ما تشاء، فتشهد عليك يوم القيامة، العين أمانة ولكنها ليست لك، إنها لله في يدك، ويدك عليها يد أمانة وليست يد مُلك، نحن لا نملك جوارحنا، نحن مؤتمنون على جوارحنا، نحن لا نملك أموالنا، نحن مؤتمنون على أموالنا، نحن لا نملك أنفسنا، ولو كُنّا نملكها لما امتنّاها، لكننا لا نملكها لأنّ الله يتوقّأها في اللحظة التي يريد، نحن لا نملك شيئاً المُلك لله، نحن مؤتمنون، والمؤتمن على شيء يتصرّف بهذا الشيء وفق تعليمات المالك لا وفق هوى نفسه، العين أمانة وخيانتها النظر الحرام، وخيانتها التجسس، وخيانتها نظرة لا ترضي الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (19)

(سورة غافر)

الأذن أمانة وخيانتها أن تسمع الكذب والنميمة والغيبة وأغاني النجوم، كل ما فينا أمانة، اللسان أمانة وخيانة الأمانة أن يتكلم بما لا يرضي الله تعالى، هذه أمانة الجوارح.

الحقوق أمانة:

والحقوق أمانة، حقّ الآباء، وحقّ الأزواج، وحقّ الأبناء، كلها أمانات، وحقّ الشريك في العمل، كلها أمانات بين يديك، وعدم أدائها خيانة، المجالس أمانة إن جلست في مجلسٍ، وإفشاء أسرارها خيانة إن كان هناك أسرار، قال صلى الله عليه وسلم:

{ إذا حدّث الرجلُ بالحديثِ ثم التفت، فهي أمانةٌ }

(أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد)

فقط أشار إليك أنه التفت، يُعطيك إشارةً أنه لا يريد أن يعلم أحدٌ بما يُحدّثك به، صار المجلس أمانة، المشورة أمانة إذا استشارك إنسانٌ، وعدم النصح له ولو لم يكن مسلماً خيانة، المُستشار مؤتمنٌ، يقول صلى الله عليه وسلم:

{ مَنْ أَفْتَى بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ، وَمَنْ أَشَارَ عَلَى أَحِيهِ بِأَمْرٍ يَعْلَمُ أَنَّ الرُّشْدَ فِي غَيْرِهِ فَعَدُوٌّ خَائِفٌ }

(أخرجه أبو داود وابن ماجه وأحمد)

الولاية أمانةٌ وتضييعها خيانة:

الولاية أمانةٌ وتضييعها خيانة.

{ فُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَصَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا دَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ

حِزْبِي وَنِدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَحَدَّهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا }

(أخرجه مسلم وأحمد والطحاوي)

{ كَلُّكُمْ رَاعٍ وَكَلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ عَلَيْهِمْ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُمْ وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ

عَنْهُمْ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُمْ وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى بَيْتِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُ أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ

عَنْ رَعِيَّتِهِ }

(أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وأحمد)

الولاية أمانةٌ، مَنْ وَلِيَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ أُؤْتِمِنَ عَلَيْهِمْ، فَإِنْ ضَيَّعَ وَفَرَّطَ كَانَتْ حَسْرَةً وَنِدَامَةً عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

الكلمة أمانة:

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ: الْكَلِمَةُ أَمَانَةٌ، وَالغَيْبَةُ وَالنَّمِيمَةُ وَالْكَذِبُ وَالشُّبَابُ وَالشَّتْمُ خِيَانَةٌ لِأَمَانَةِ الْكَلِمَةِ، وَنَقْلُ الْكَلَامِ دُونَ تَبَيُّنِ خِيَانَةٌ لِأَمَانَةِ الْكَلِمَةِ، كَمْ مِنْ كَلِمَةٍ جَرَحَتْ؟ وَكَمْ مِنْ كَلِمَةٍ كَفَرَتْ إِنْسَانًا؟ وَكَمْ مِنْ كَلِمَةٍ اسْتَبَاحَتْ دِمَاءً، مَهْمَا تَكُنْ جَرَاخُنَا، وَمَهْمَا تَكُنْ الْأَمْنَا كَبِيرَةً عَظِيمَةً، إِنَّا نَا أَنْ نُطْلِقَ كَلَامًا غَيْرَ مُنْضِطٍّ بِضَوَابِطِ الشَّرْعِ، نَحْنُ يَحْكُمُنَا شَرَعٌ رَبَّنَا مَهْمَا فَعَلَّ الْمُجْرِمُونَ، يَحْكُمُنَا شَرَعٌ رَبَّنَا بِالْكَلِمَةِ، لِأَنَّهَا أَمَانَةٌ أَمَامَ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

التكافل أمانة:

التكافل أمانةٌ، أمة الجسد الواحد أمانةٌ، وتضييعها أن يعيش الإنسان لنفسه، ولا يأبه لما يجري للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، لقد أصاب بعض إخواننا في محافظتي دير الزور والرققة ما أصابهم، بسبب ارتفاع منسوب مياه نهر الفرات، وأمانة الجسد الواحد تقتضي أن تُمدَّ يد العون لهم.

أَيُّهَا الإخوة الكرام: كلها أمانات، ويجب أن تنتبه لها وأن تؤدّيها حقاً أدائها، لأننا قد حملنا الأمانة.

أَيُّهَا الإخوة الكرام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسِبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليكم، واعلموا أنّ مَلَك الموت قد تخطَّنا إلى غيرنا وسيخطئ غيرنا إلينا فلننَّجِد جذرنا، الكيِّس من دان نفسه وعَمِل لِمَا بعد الموت، والعاجز من اتَّع نفسه هواها وتمتَّى على الله الأمانى، واستغفروا الله.

الحمد لله ربِّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وليُّ الصالحين، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد.

بيع المُستَرسَل:

أَيُّهَا الإخوة الكرام: يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

{ قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حِجَّةِ الْوُدَاعِ: **أَلَا أُخِيْرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ: مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَالْمُسْلِمَ مَنْ**

سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ {

(أخرجه أحمد وابن حبان وابن عبد الحكم)

هناك لقطهٌ أحب أن أُشير إليها، عندما طُبِعت الأوراق النقدية الجديدة في بلدنا، بعد حذف الصِفَرين بالقيمة نفسها، لكن بحذف صِفَرين كما تعلمون جميعاً، وصلنتي حالاتٌ كثيرة عن بعض الناس الذين يُخطئون في الحساب، إمَّا البائع أو المُشترى، فقد يكون الطلب على العُملَة القديمة، وبحاسِب وفق العُملَة الجديدة على قيمة القديمة، فيُعطي البائع أكثر مما تستحق البضاعة من غير أن ينتبه، وهذا ما تُسمِّيه في الفقه: المُستَرسَل، بيع المُستَرسَل هو رَجُلٌ لا يعرف السوق، دخل إليها لا يعرف كم الأسعار، لا يعرف نوعية البضائع، فيُعش، وقد ورد وإن كان الحديث فيه ضعف:

{ غبن المُستَرسَل ربا }

(رواه البيهقي عن أنس وعن جابر وعلي بن أبي طالب)

فيُعشهُ الناس، لذلك قال له النبي صلى الله عليه وسلم:

{ أَنْ رَجُلًا دَكَرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يُخَدِّعُ فِي الْبُيُوعِ، فَقَالَ: **إِذَا بَايَعْتَ فَعَلْ: لَا خِلَابَةَ** }

(أخرجه مسلم)

أي لا غش، وله الخيار بعد ذلك في أن يُمضي القعد أو أن يفسخه، فهذا الموضوع تكرر عدة ملاحظات، لكن لثُحْسِنُ الحسَن، فإنَّ تاجرًا أعرفه حصل معه ذلك، ولم ينتبه العامل إلى أنه أخذ بالعملة الجديدة وفق السعر القديم، فأخذ أكثر من المبلغ بكثير، يعني طلب مئة ألفي على العُملَة القديمة، فأخذ مئة ألفي على الجديدة، أي رُبا يكون قد أخذ مليون على العُملَة الجديدة، لم ينتبه، رُبا يكون قادمًا سائحًا، رُبا يكون قادمًا إلى البلد حديثًا، لا ينتبه إلى هذا الفرق، فوضع المبلغ وربطه بربطه، وصوَّره ووضع على صفحته وقال: هناك رَجُلٌ جاء إليَّ في محل كذا ودفع زيادة، فنتهوه إلى ذلك حتى يعود فهي أمانة، كتب عليها أمانة لشخص لا أعرفه، لكن سلمها بالغلط، فلعلَّ الرَجُل انتبه وعاد إلى المحل، وأخذ ما بقي له من المبلغ، فهذا من الأمور التي وإن بدت بسيطةً، لكنها من إيمان المؤمن أنه باتمته الناس على أموالهم، فوجب التنبيه إلى هذا الموضوع، حتى لا نغين المُستَرسَل الذي لا يعرف الأسعار، أو لا يعرف الفرق بين الأوراق النقدية.

الدعاء:

اللهم اهدنا فيمَن هديت، وعافنا فيمَن عافيت، وتولنا فيمَن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عَنَّا شرَّ ما قضيت، فإنك تقضي بالحقِّ ولا يُقضى عليك، وإنه لا يذلُّ من واليت ولا يعزُّ من عاديت، تباركت ربَّنَا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، ولك الشُّكر على ما أنعمت وأوليت، نستغفرك وتوب إليك، ونؤمن بك وتوكل عليك.

اللهم إنا نسألك لهذه الأمة أمرٌ رشيد، يُعزُّ فيه أهل طاعتك ويُهدى فيه أهل عصيانك، ويؤمَّر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المُنكر.

اللهم إنا نسألك أن تؤدِّي الأمانات إلى أهلها، نسألك يا ربَّ أن تؤدِّي الأمانة حقَّ أدائها، حتى نلقاك وأنت راضٍ عَنَّا يا أرحم الراحمين.

اللهم أهلكنا في عرَّة، كُن لهم عوناً ومُعِيناً، وناصرًا وحافظاً ومؤيداً وأميناً.

اللهم أهلكنا في كل مكانٍ من المُستضعفين، أطعِم جائعهم، واكسُ عريانهم، وارحم مُصابهم، وآوِ غريبهم، واجعل لنا في ذلك سَهْمًا وعملاً مُتَقَبَّلًا يا أرحم الراحمين.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دُنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زادًا لنا من كل خير، واجعل الموت راحةً لنا من كل شر، مولانا ربِّ العالمين.

اللهم اجعل الأمن والأمان في ربوع بلادنا، ووفِّق القائمين على بلادنا للعمل بكتابك وبشِئَةِ نبيِّك صلى الله عليه وسلم، والحمد لله ربِّ العالمين.